الشارع ... الحي ... المدينة
الجيرة ... الجوار

إحدي المنمنمات التراثية ، تُشبه الأحياء القديمة بالدولة .. أجهزة هذه الدولة هي؛ الإمام ، شيخ الحارة ، هيئة الكبار = هيئة المسنين ، الحارس = الخفير .. المسنون هم المتحدث الرسمي عن التجربة ، والتوثيق .. وماضينا ، أما الشباب فهم المتحدث باسم القوة ، الإثارة .. الفتوة .. والمستقبل .. أما الوضع الراهن فيتحدث عنه مَنْ هم في متوسط العمر ..

الإمام ، يعيش حياة سكان الحي ، حلوها ، ومرها .. في الميلاد .. وإختيار الإسم ، والختان .. والفرح ، والجنازة ، وكتّاب الحي ، وتحفيظ القرآن .. وفي إقامة الصلوات الخمس .. أي أنه مع سكان الحي في الحشر ، والنشر .. هو العنصر النشط ، والفَّعال في فض المنازعات .. وحلّ المشاكل .. ورأب الصدع في العلاقات .. والحسم في الخصومات .. والمصالحة في الدعاوي .. والمديونيات ..

إن الحي كان يحمل مفهوم العائلة الكبيرة ، التي كبرت بعض الشيء .. الكل يعرف بعضهم بعضاً .. مما لاشك فيه تعلو فيه أصوات كثيرة .. ولكن صوت الإمام ، وشيخ الحي هما الآعلي . معزوفات ثنائي [الإمام – وشيخ الحي] هي الأقوي ترديداً .. الكل يصغي لها .. يستمتع بسماع ما يصدر عنهما .. ألحانهما هي التراث ، وشيخ الحارة .. أو الحي ينصح أصحاب المشاكل .. يوضح مسالك الدروب ، يزيل العقبات .. هو في دأب مستمر ، وكأنه ميزان الحي ، أو الترمومتر الذي يقيس حرارة العلاقات بين سكانه .. يعرف كل العائلات عن قرب ، بمساعدة هيئة الحكماء . = المسنين .. هو الذي يضبط موازين العلاقات .. ويوازي أو يوازن بين كفتي الميزان .. يعقد مجالس الصلح بمعاونة هيئة الحكماء ، والدعم الديني للإمام .. الحارس .. أو الخفير .. هو صاحب الأبواب المفتوحة ، ومراقب الأموال المتروكة في العراء .. هو عين المختار = شيخ الحي .. أو شيخ الحارة .. أو شيخ البلد .. أو العمدة .. الذي تري وأذنه التي تسمع دبيب النملة .. ويده التي تمسك بزمام الأمور ، وتلابيب الخارجين علي الأصول ، والعادات، والتقاليد ..

إن الذين يعيشون الأفراح ، والأتراح ، يفرحون .. ويبكون معاً داخل الحي .. يشهدون الميلاد .. ويودعون الأموات معاً لا تخلو حياتهم أيضاً من المنازعات .. والمناوشات ، وصراعات المصالح .. ومعارك الحياة .. ولكنهم أيضاً يملكون إمكانات حلها .. الكل يعرف الآخر .. تلعب العلاقات الموجودة بين منظومة القيم المتوارثة ، والمتشكلة ، عبر أجيال متعاقبة بين العائلات ، دوراً منظماً ، في تصفية كل هذه الخلافات ، لقد فقدت الأحياء ، وخاصة في مدننا الكبيرة ، كل هذه المميزات ، والصفات الأصيلة ، ولكن ما أحوجنا إلي إعادة هذا التراث الخيِّر .. إننا في أمس الحاجة لإعادته ، وتنشيطه ، وفقاً للظروف الحديثة ، والإمكانات الجديدة المتاحة من أجل خلق وتنمية مجتمع أكثر سلامة وأمناً . وترابطاً .. إننا في أمس الحاجة للبحث عن الطرق والوسائل التي تُقرب – إن لم يكن بين أهل الحي ، فبين أهل الشارع ، أو الحارة .. لكي يعرفوا بعضهم بعضاً .. لكي يحبوا بعضهم بعضاً .. لكي يتصافحا بعد صلاة الجمعة .. لكي يسألوا عمن غاب .. نحن في حاجة إلي إستمرار العلاقات الإنسانية بين أهل الحارة ، أو الشارع .. لكي نبارك أو نعيِّد علي بعضنا البعض في الأعياد ، والمناسبات السعيدة .. لكي نعود إلي مشاركة بعضنا البعض في السراء والضراء .. نفرح معاً ونشيِّع جنائزنا معاً .. نعود مرضانا .. ونودِّع موتانا سوياً .. مثل هذا التقارب ، والتعارف ينعكس أمناً ، وسلاماً علي أطفالنا في الشارع ، وفي الحي .. نأمن علي نسائنا .. وبناتنا من مفاجئات العودة إلي بيوتهن فرادا .. نأمن علي أموالنا التي نتركها أمام مساكننا .. لا نخاف من البائع المتجول ، أو العامل المتوغل داخل مساكننا .. لا نخاف من مهني يعرف مداخل البيت .. ومتي يغيب الرجل أو الزوج .. لا نتوجس خيفة من كل غريب .. ولانخشي قطع الطريق ..

إن الانسان هو أحوج مخلوقات الله إلي التآلف والتعايش .. في أمس الحاجة إلي بعضهم البعض .. إن حب البشر .. يبدأ بذوي القربي .. والجار الجنب .. والجار .. حتي سابع جار .. كاد الجار أن يُورَث في جاره ، فكيف ونحن لا نعرف الجار الجنب .. إذا ما بدأنا بحب ذوي الرحم ، وذوي القربي المكانية .. وأتسعت الدائرة لتشمل الحارة ، أو الشارع أو الحي .. لا نطبق علينا وصف الانسان المتحضر المثقف .. إذا ما تم ذلك ، لأصبحت حياتنا في مسكننا مكملة لسلوكنا في الحارة ..

أو الشارع .. أو الحي .. أو بشكل آخر تصبح حياتنا في الحارة ، أو الشارع .. أو الحي .. هي إستمرار أو إمتداد لحياتنا في مساكننا الخاصة بنا .. تتوحد ، وتتوائم سلوكياتنا في كليهما .. بلا تناقض .. أو إغتراب .. وسينعكس كل هذا علي نظافة حارتنا .. وشارعنا .. وحيّنا .. ومدينتنا ويصبح الكل في واحد حقاً ، وصدقًا .. قولاً .. وسلوكاً .. بهذا المفهوم .. تكون عمليات تنظيف المسكن عنصراً مهماً من عناصر نظافة الحارة .. والشارع ، والحي .. والمدينة وكما نحرص علي نظافة المسكن .. سنشمل الحي .. والمدينة بنفس الحرص .. فنبدأ من باب الشقة .. إلي باب العمارة وتتسع دائرة الإهتمام بالنظافة لتشمل الحارة ، فالشارع ثم الحي فالمدينة .. وبهذا نكون قد طبقنا النصف المعطل في الإيمان .. فقد سبق القول .. النظافة ليست من الايمان فقط .. بل النظافة نصف الإيمان .. ولكي تتسع دائرة النظافة يجب مراعاة ما يلي :

- يجب المحافظة علي أمام الأبواب نظيفاً ..
- ربط أكياس القمامة ، ووضعها في الأماكن المخصصة لها ..
- يجب عدم الكتابة ، أو الرسم علي الجدران مطلقاً ..
- يجب عدم السماح للباعة المتجولين بإلقاء المخلفات في الشوارع .. ومقاطعة مَنْ يفعل ذلك ..
- ضرورة الحيلولة دون إحداث ضوضاء أو صخب ..
- يجب ذبح الأضاحي في الاماكن المعدة لذلك ، سواء في العمارات .. أو المدينة عامة ..
- ضرورة استهجان البصق .. أو النَّف في الشوارع ..
- عدم إلقاء مخلفات المشروبات ، والمأكولات و فوارغها ، وعبواتها في الشوارع والطرقات .. بل وضعها هي وأي أوراق أو مناديل ، أو محارم في الأماكن المعدة لذلك .. وكذا علب الكرتون .. والزجاجات .. والصفائح ؛ يجب ألا يُلقي بها في الشوارع ..

– علي الذين يهتمون بتربية أي حيوانات ألا يلقوا بفضلاتها في أي مكان مشترك .

– عدم التدخين ونحن نسير في الشوارع ،

– يجب حماية مواقف الحافلات .. وأكشاك الهاتف نظيفة وحمايتها من أى تعديات ..

– كما يجب حماية ، وصيانه أي تراث ثقافي غير منقول يزدان به الحي كالقصور ، والأسبلة ، والجوامع والمكتبات .. فهي تراث مشترك .. ويجب السعي إلي إعادة إحياء نشاطها لو كان معطلاً .. والتعريف به لدي الجميع علي أنه مال عام .. له وظيفة ثقافية قومية ..

– يجب بذل المساعي الجماعية من أجل إمكانية تكوين مؤسسات ، ومنشئات صحية ، ورياضية في الحي مثل حدائق أطفال ، أو ساحة كرة طائرة ، كرة سلة ، أو مركز طبي ، لخدمة أبناء الحي ، وتكون بشكل تعاوني .. وإذا كانت مثل هذه المنشآت موجودة ، فيجب تحمل مسئولية الصيانة ، والرعاية بشكل جماعي ، من قبل شباب الحي أو القرية أنفسهم .

– يجب تعويد الأطفال علي عدم مطاردة الطيور المهاجرة ، أو ترويعها ، وكذا عدم هدم آعشاش الطيور المحلية ، بل يجب تأسيس أعشاش ، ومساقي لها ..

– يجب عدم القيام بأي ضوضاء ، أو إستخدام سيارات تحدث ضوضاءً ، أو تلوث البيئة المحيطة ، بعوادمها .

ومراعاة عدم استخدام الكلكسات بشكل مزعج ، أو ركن السيارة في الممنوع أو فى مكان يُسبب إزعاجاً للآخرين...

وعلي الجميع التعاون في حماية المساحات الخضراء ، والأشجار والأزهار الموجودة ، وعدم السماح بقطفها .. أو قطعها أو كسرها . وإذا لم تكن موجودة ، فيجب غرسها في أي مكان يمكن غرسه بها ..

– بل يجب بذل الجهد لتعويد الأطفال ؛ والصغار علي حب الخضرة ، والأشجار ،

والأزهار وحماية الموجود ، وتعميم الخضرة حيث يجب أن تكون سمة الجمال موجودة.. وأن تعمم الحدائق الصغيرة في الأماكن المناسبة .. ويجب تجميع الجميع نحو هذا الهدف ..وتشجيعهم ، ومكافئتهم علي ما يقوم به المتفوق منهم .. وتعويدهم علي عدم إلقاء أي مخلفات في مياه البحر أو النهر ، أو البحيرة .. أو ترك قمامة علي الأرض ، أو في أماكن النزهة ، أو المعسكرات .. ويجب إحضار أكياس قمامة ، ووضعها في المتنزهات .. وإعتبارها هي – ودورات المياه العامه كجزء من منازلنا الخاصة . وعدم إلقاء مخلفات من السيارات ، أو الحافلات ، أو وسائل الشحن، والنقل المختلفة ..

– يجب أن تتضافر جهود سكان الآحياء ، والقري من أجل حل مشاكل البيئة ، وعدم تلويثها .. وشرح مفاهيمها بشكل مبسط ، لكافة المستويات ، حتي نصل جميعاً إلي فهم مشترك ، حول قواعد المحافظة علي البيئة .. وأن يكون ذلك واجب المواطنة الحقة .. والإنسان المعاصر الذي يحب بلده ..

- الجوار .. أو .. الجيرة .. الجار :

التراث الشعبي الإسلامي بكل لغاته فيه ما يفيد معني (قبل شراء الدار ، إسأل عن الجار) أو قبل الدار إسأل عن الجوار .. فالجوار أهم من الدار في حياة البشر ، وللجار في الاسلام مكانة عالية لقوله تعالى ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾ [النساء آية ٣٦] ؛ فالآحاديث النبوية الشريفه تحض على عدم أذية الجار ، والإحسان إليه ، وإكرامه ، واحترامه وتقديره يتضح ذلك من الآحاديث التالية :

١– ﴿ ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ﴾ .

٢– ﴿ مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ﴾ .

٣– ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ﴾ .

٤– ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ﴾ .

٥– ﴿ من كان له جار فى حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه ﴾ .

اللغات الإسلامية كلها تُعرِّف الجار علي أنه المجاور في السكن أو في الحقل ، أو مكان العمل . أو حتي في الجلوس .. والجيرة هي العلاقات التي تترتب على الجوار في السكن أو العمل .. وتدخل في العديد من المصطلحات الإجتماعية ، كالجار الجنب، وخاطر الجار .. وتعني إحترام الجار ، وحرمة الجوار ، مراعاة الحفاظ علي الجار.. الباب المجاور.. المجاورة ؛ جيرة الباب .. أي الدخول والخروج من باب واحد . وما أروع ما حدده لنا نبي الاسلام لتحديد هذه المعاني السابقة ؛ فعلى المسلم أن يحي جاره أينما وجده . وأن يُلبى دعوته ، إذا ما دعاه ، وأن يُشَنِّفه إذا ما عطس وحمد الله ، وهذا ينطبق علي الجار في الجلوس ، حتي وإن لم تكن تعرفه ، وأن تزوره إذا مرض ، وأن تسأل عنه إذا غاب ، وأن تسير خلفه في الجنازة .. وأن تقتسم قوت يومك مع الجار الجوعان .. فما أعظم هذا الترابط الإنساني ، والتكافل الاجماعي ..

تراث الجيرة ؛ وقيمتها :

شهد الماضي القريب لنا بحسن الجوار ، حتي وإن كانت بيوتنا متباعدة .. فلم تكن البيوت متلاصقة ، أو متداخله كما هي عليه الآن ، ولكن كانت قلوبنا عامرة بالحب .. علاقاتنا متداخله باحترام ، وتعاون ومؤازرة .. ومزاملة في العمل . في المناسبات والأعياد يحرص الصغار علي زيارة الكبار ، وإظهار الحب ، والود ، والإحترام لهم ، الكبار يلاطفون الصغار ، ويشملونهم بالعطف والرعاية .. الجميع يعيش داخل منظومة إجتماعية متوائمة ؛ من يخرج عليها آثم ، مَنْ ينتهك حُرماتها ، مطرود من رحمة الله .. ، وحب الجماعة .

الآن ، فرضت علينا الظروف الاجتماعية في المدن أن تتداخل مساكننا .. ولكن تتباعد عواطفنا .. الجار لا يعرف جاره ، وفي القري والقصبات إلتصقت المساكن ، ولكن تفككت العلاقات والروابط ...

ولكن علينا أن نُحافظ علي ما تبقي لدينا من قيم ، وأن تسعي وسائل الإعلام الحديثة أن تُعيد التركيز علي تراث الجيرة ، وقيمتها في محاولة لإحياء هذا التراث الخيِّر ، وهذه القيم الأصلية ... فمثلاً ؛

– تعريفه ، وتقديمه بالشكل المناسب لبقال ، وقصاب وفكهانى الحّي .. وإشعاره أنه ليس وحيداً في الحي الذي أتي إليه ..

– الحرص علي دعوته – حسب الظروف – حتي تستقر أُموره فيمكن دعوته علي قهوة الصباح ، أو شاي المساء ..

– إذا ما لمست ست البيت ، أن جارتها يمكن تُعقد بينهما صداقة ، فعليها أن تُرتب لزيارة عائلية حتي يتم التعارف بين الجميع .. وتُعتبر هذه زيارة تعارف ..

– إذا كان هناك أطفال ، أو صبية في سن متقاربة ، فيجب تعريفهم ببعضهم البعض، وحضهم علي اللعب ، أو المذاكرة سويًا حتي يتعودوا علي حسن الجيرة .. والتعاون بدلاً من المشاجرة ، أو التخاصم ..

– لابد من زيارة الجار المريض .. والسؤال عنه ، وتقديم يد العهون إليه .. فإذا كان وحيداً ، أو وحيدة وجب تقديم الطعام إليه ، أو رعاية الطفل إن وُجِد .. وإخبار أقارب الجار بمرضه إذا لزم الأمر ..

– إذا كان للجار بنت ستتزوج ، فيجب المساعدة في إعداد بيت الزوجية .. كالخياطة .. التنجيد .. ترتيب البيت استقبال الضيوف .. الخ ..

– إذا كان بين الجيران ، جارة وحيدة .. أو شابة ، وجائها المخاض .. أو فاجئتها الولادة .. فيجب الوقوف بجانبها في مرحلة الوضع ، والخلاص .. والنفاس وما شابه ذلك

– إذا ما حدث عند أحد الجيران .. وفاة .. فيجب عدم تركه وحيداً في هذه اللحظات .. وضرورة استضافة أطفاله الصغار في هذه الأحوال .. وإحضار الطعام إلي منزل المتوفي .. والحرص علي عدم تركهم جوعي ..

لابد من تقديم يد العون ، والمساعدة حتي في الاعمال المنزلية ، في أول ليلة للوفاة . أما في الزواج ، فلابد من تقديم بعض الآواني ، والأكواب ، والأطباق كإعارة ، ، إذا كان الحفل في البيت ..

– إذا كانت هذه الخدمات قد قدمت إليك ، فلابد من تقديم الشكر ، وان تُعاد

الأطباق ، والآواني وقد وضع في أحدها شيئاً من الحلوي المصنوعة في المنزل .. ولكن الآواني التى أُعيرت لبيت المتوفي ، لابد وأن تعاد فارغة .

– عدم ترويج إشاعات عن الجيران ، أو الإنضمام إلي مَنْ يقوم بترويجها ، بل ضرورة التصدي لهم بالحسني ..

– علي الجار الذي يَعُدّ طعاماً تصدر عنه رائحة فواحة بشكل ملحوظ ، أن يُقدم للجار بعضاً منه ..

بإختصار .. لابد من إعتبار جار الجنب صديقاً ، لا نتدخل في حياته .. بل نسعي لإقامة علاقات متوازنة معه ..

أما في حياة المدن ، التي شهدت تداخلاً في الحياة ، وتشابكاً في العلاقات السكانية ، فعلي الكل مراعاة ما يلي ؛

إذا كانت في العمارات السكنية إتحادات لشاغلي هذه الوحدات ، سواء بالتملك ، أو بالإيجار .؛

– حضور الإجتماعات المقررة للإتحاد ، أو العمارة ..

– مراعاة التطبيق الأمين للقرارات التي تم الموافقة عليها ، وتسديد الإلتزامات المالية في الوقت المحدد ..

– عدم الإعتراض فيما بعد ، علي القرارات التي أُتخذت بشكل جماعي .. أو التي وافقت عليها الأكثرية .

– تلافي التصرفات التي تخلق قلقاً في العمارة .. أو تلك التي تُسبب إزعاجًا للجيران .. كالضوضاء ، والزعيق ، والعراك .. المشاجرة .. تخريب الحديقة ، أو إتلاف مزروعاتها .. أو قطع المياه عن الأدوار العليا .. تنفيض الابسطة التي تحتوي علي أتربه .. عدم إلقاء السلام والتحية .. الزعيق المتكرر للبواب ، أو الحارس ، أو الزبَّال .. أو الأطفال وما شابه ذلك ..

– حتي لو لم نكن علي معرفة وثيقة ببعض جيران السكن ، ففي الأعياد ، أو المناسبات الدينية ، أو الاجتماعية .. فلابد من التهنئة بالعيد ، أو التبريك بالمناسبة .. أو إجبار الخاطر ببعض عبارات المجاملة .

– عدم الإسراف ، أو التبذير في المياه ، والكهرباء خاصة إذا كانت مشتركة مع الآخرين ..

– ضرورة التوائم مع الإرشادات ، والأوامر ، أو النواهي التي تصدر عن المتولي للإدارة ..

– ضرورة المشاركة فيما يُقدم من هبات أو منح ، أو بقشيش إلي هؤلاء الذين يقدمون خدمات للعمارة ؛ كالحارس أو البواب ..

– الحرص علي عدم الإزعاج ، أو التسبب في ضرر للآخرين عند ذبح الأضاحي ، أو ما شابه ذلك .. أو الاستئذان إذا لزم الأمر ذلك .

– أحترام أفكار ، ومعتقدات ، وسلوكيات ، وآراء الآخرين ، وعدم محاولة فرض تصرفاتنا علي الجيران ..

– إذا كانت لديك سيارة ، وكان أحد الجيران ينتظر وسيلة مواصلات ، ولديك متسع من المكان .. فلابد من دعوته إلي سيارتك ، حتي وإن لم يكن بينكما مودة .. « فمن كان عنده فضل ظهر فليَجُد علي ما ظهر عنده .. » .. فيجب ألا ننسي أن أقرب المقربين إلينا بعد أقارب النسب هم الجيران ..

فالإحسان إلى الجار ، يتم وذلك بأن ينصره إذا استنصره ، ويعينه إذا استعانه ، ويعوده إذا مرض ، ويُهنئه إذا فرح ، ويعزيه إذا أُصيب ، ويساعده إذا احتاج ، يبدؤه بالسلام ، ويلين له فى الكلام ، يتلطف فى مكالمة ولده ، ويرشده إلى ما فيه صلاح دينه ودنياه ، يرعى جانبه ، ويحمى حماه ، يصفح عن زلاته ، ولا يتطلع إلى عوراته ، لا يُضايقه فى بناء أو ممر ، ولا يؤذيه بميزاب يصب عليه ، أو بقذر أو وسخ يُلقيه أمام منزله ، كل هذا من الإحسان إلى الجار المأمور به فى قوله تعالى : ﴿ والجار ذى القربى والجار الجنب ﴾ وقول الرسول « ﷺ » ﴿ مَنْ كانَ يُؤْمِن باللّه واليوم الآخر فليحسن إلى جاره .. ﴾ ..

* * *